

## ومضات رائية (7)(8)

تصير : هي سلسلة من ومضات لا تنقيد بتجنيس الومضة ومحدداتها المتداولة في التنظير النقدي ، بل تنطلق من إمكاناتها اللغوية ، لتشمل محمولات الحرف في تنوعاتها المختلفة .

( 7 )

من المضحك غير المبكي أن ترى من يرفض ما تجسده مقولة : " لولا اختلاف الأذواق لبارت السلع " فحتى الأدبيات والذوقيات تنسحب عليها المقولة تلك ، ولقد صدق من أعطى ( أنين الناي ) صفة ( البقاء ) أعطاه إيـّها وهو يعيش مهجر التحولات ..

أعطاه إيـّها لا لشيء إلا لأنـّ حسه الإنسانيـّ المرهف أدرك أنـّ القلب سيستمر بالنبضات ، وإن اختلفت على حيازته الصدور ..

ومن المبكي غير المضحك أن يستمر المتنطعون في الإصرار - بالرغم من فشلهم المزمّن ، وهو مبعث البكاء والشفقة عليهم - على اجتثاث ( الثابت ) الراسخ في حركة تمثلات الكلمة وبوجها لدى الإنسان منذ " عيون المها بين الرصافة والجسر " وحتى " عيناك غابتا نخيل ساعة السحر " ، فكلا المقتبسين هما من المجالات التي يشتغل عليهما الناي ويبت من خلالهما الأنين ..

لكنـّ المضحك المبكي حدّ انقطاع القلب من الضحك والبكاء أن ترى المتولّهة أرواحهم بالناي يئنون من ( تحوّل ) نبضات أفئدتهم عن التماهي مع تموجات الروح ...!

وتلك هي مشكلة الطبقة الثالثة المستعمية ، من غير ذوي البصيرة ومن غير طلابها .

( 8 )

من باب عطف المصداق على المفهوم الذي عالجه الومضة السابعة في ( تقاسيم الضحك والبكاء ) ، تأتي ومضة المصداق هذه لتذكر بما تطرقت إليه المقالة المعنونة بـ ( اعتذار التنفيس

في تبرير النص السيابي المتضاد ورؤية أدونيس ( فتستعيد النقد الذي وجهه أدونيس لنص  
السياب الشعري المشوب بنزعة إبلاغية خطابية تقريرية منعت نصه من التخلص النهائي من )  
ثابت ( ماضي ، مما أصاب القصيدة السيابية بالقصور والفشل في اللحوق بقطار ( التحول )  
الأدونيسي الذي يحقق الشِّعرية الصافية الفذة بحسب ما يراها الأخير. إن أدونيس المسكون  
بثنائية ( الثابت والمتحول ) نثراً وشعراً قد يستميل من يستميل في الجانب التنظيري ،  
والفضاء النقدي له قابلية استيعاب الرؤى المتنوعة ، غير أننا لو قمنا بمسح ميداني من  
حيث العمق والسطح وقمنا بقياس نبض النص الإبداعي و تثمينه من خلالهما لوجدنا أن نص السياب  
الشعري قد بلغ مبلغه من السعة والانتشار جماهيرياً ونخبوياً ، فتراؤه الإبلاغي ( الخطابي  
( قد رشحه لتلقطه ( حنجرة المغني ) وما ( سفر أيوب وغريب على الخليج ) وحتى ( أنشودة  
المطر ) التي بلغت من العالمية مبلغها وتكالب على دراستها المختصون في الأدب المقارن ،  
قد عُذِّيت مع النصوص الأخرى من شعره ، سوى شاهد على جماهيرية النص السيابي ، وأما عمق  
لغته فترجمه البحوث والكتابات والدراسات التي أشبعت نصه بحثاً ودرساً ولا زالت ، حتى إن  
إحصائية ظهرت بعد رحيله بعشرين عاماً لتجمع لنا أكثر من ألف عنوان ما بين بحث ودراسة  
حول شعر السياب. إنَّ السياب شاعر مرفه الحس ، وقد أدرك بفطرته ( ثبات ) انثيال  
المشاعر فلم يحد عنه بل جعل منه عصب القصيدة المكشوف و النابض في جسدها الغني  
بالإغراءات الفنية ، فجمع بين استمالة قلوب ( العوام ) وبين اندهاش ( الخواص ) ممن  
أشبعوا نصه بحثاً ودرساً ولا زالوا. ومن يريد أن يقف على الدوافع النفسية التي دفعت  
أدونيس للنيل من شعرية السياب في الجانب المذكور فله أن يعود إلى مقالة ( اعتذار  
التنفيس .. ) لتظهر أمامه قامة السياب الشعرية التي لم يصل ولمَّـا يبلغ مبلغها أدونيس  
. إنَّ المقارنة بين الشعراء من حيث المنجز الإبداعي الشعري كفيلة بتعميق الوعي الشعري  
لمن يقوم بها ولمن يطلع على نتائجها ، ولذلك تكتسب المقارنات والموازنات في تراثنا  
الشعري القديم مشروعيتها بلحاظ استضاءاتها النقدية ، كما أن شعرنا المعاصر لا غنى له عن  
بلوغ النضج المتوخى من هذا الباب .